مجلة الدراسات الأثرية
المجلد: 23 / العدد: 01 /2025/ ص ص 253-276
ISSN: 1111-7699
EISSN: 2600-6499

رؤوس غلايين عثمانية مؤرخة بالقرن 13هـ/19م
محفوظة بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة

Ottoman pipes dating back to the 13th century AH/19th century AD housed in the Public National Museum of Antiquities

علي بن بلة [1] *
[1] جامعة الجزائر 2، ali.benbella@univ-alger2.dz

تاريخ الإستلام 2025/10/01 تاريخ القبول 2025/12/03 تاريخ النشر 2025/12/31

الملخص:

إن الهدف من المقال هو التعريف بمجال لا يزال غامضا لحد الآن ولم يسلط عليه الضوء بصفة كافية، خاصة في الجزائر ألا وهو دراسة الغلايين أي أدوات التدخين التي يوجد العديد منها محفوظا في بعض متاحفنا و التي لم تحظ بعد بدراسة علمية شاملة بالرغم من تنوع هذه الأخيرة من حيث مادة الصنع فمنها المصنوعة من الطين و الفضة والخشب، يرتبط هذا الموضوع بعادة منتشرة في المجتمع وهي التدخين و البحث عن فترة ظهورها في العالم عامة و في العالم الإسلامي وبإيالة الجزائر على الخصوص من خلال دراسة المادة الخام أي النبتة المستعملة في عملية التدخين وهي التبغ. ستكون الدراسة الوصفية والتوثيقية للمقال بعرض البطاقات الفنية لتسعة رؤوس غلايين خشبية محفوظة بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة تعود في مجملها إلى الجزائر خلال 13 هـ/19م.

الكلمات المفتاحية: غليون، تبغ، دخان، الدولة العثمانية، الجزائر. .

Abstract :

The aim of this article is to introduce a field that remains obscure and has not been sufficiently highlighted, especially in Algeria, namely the study of pipes and smoking implements. Many of these artifacts are housed in some of our museums and have not yet been the subject of a comprehensive scientific study, despite their diversity in terms of materials used to make them, including clay, silver and wood.

This topic is linked to a widespread social habit, namely smoking, and the search for its origins in the world in general and in the Islamic world, Algeria in particular, through the study of the raw material, the plant used in the smoking process, namely tobacco . This descriptive and documentary study will present the technical specifications of nine wooden hookah heads housed in the National Museum of Antiquities. All of the hookah pipes are from Algeria and date back to the 13 AH/19 AD.

Keywords: Pipe, tobacco, smoke, Ottoman Empire, Algeria.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة

إرتأينا أن تكون التوطئة عبارة عن عرض لأهم الدراسات التي تناولت الموضوع ، حيث بدأ الاهتمام بدراسة الغلايين في الغرب في وقت مبكر وكان ذلك من طرف جامعي التحف أولا ثم الآثاريين، بينما تطورت الدراسات الدقيقة و المحددة للغلايين العثمانية بشكل خاص خلال العشرين سنة الماضية، عدا إحدى أوائل الأبحاث التي ترجع إلى ثمانينيات القرن الماضي وفق دراسة نمطية مهمة أجرتها ريبيك روبنسون– Rebecca Robinson سنة 1985، وأصبحت دراستها المرجع الرئيسي لكل باحث في هذا الموضوع، ثم شهدت الأبحاث طفرة كبيرة خاصة بفضل جهود سانت ج. سيمبسون – St J. Simpson الذي كتب أواخر التسعينيات العديد من المقالات حول الغلايين العثمانية في بلاد الشام وتركيا. وفي عام 1996 تم تنظيم مؤتمر حول علم الآثار بالإمبراطورية العثمانية في جامعة Binghamton بنيويورك بدافع من (بارام أوز– Baram uzi)، كان الهدف منه فتح الحوار حول الآثار العثمانية. وقد أدى ذلك إلى الرغبة في المضي قدما في هذا الموضوع من باحثين آخرين مثل (برادين س. – S. Pradine) و (برافي ل.– Bravy L.) اللذين درس الغلايين المصرية، و(فرنسوا ف.– F. Veronique) التي درست الغلايين السورية وكذلك ايمي س.– C.Aimée) و بوزقار– Bouzigard و (سيدال ب. أ.– B. A. Saidal)الذين درسوا الغلايين المكتشفة في السعودية.[1] وغيرها من الأبحاث حول الغلايين العثمانية.

أما عن الجزائر فلحدّ الآن لم تعنى الغلايين بدراسة علمية ترمي إلى معرفة أنواعها ومادة صنعها وتأريخها وأيضا تنميطها.

وتبقى الإشكالية المطروحة تتبلور حول معرفة أصول هذه القطع المحفوظة في المتحف العمومي الوطني للآثار بمدينة الجزائر، إن كانت محلية الصنع أو مستوردة من مدن مختلفة تابعة للإمبراطورية العثمانية وتم استعمالها في الجزائر.؟

ويبقى الهدف الأول والأخير من هذه الدراسة هو التعريف بهذه الأدوات أي الغلايين وإماطة اللثام عنها ووصفها و تحديد مكوّناتها والمواد المصنوعة منها والطرق المتبعة في إخراجها بهذه الأشكال وبتناول تقنيات زخرفتها.

إن المنهجية المتبعة في دراسة هذه المجموعة من رؤوس الغلايين تمثلت في المنهج التاريخي الذي استوجب منا البحث عن تاريخ ظهور تدخين التبغ واستعمال الغليون اللذين كانت نشأتهما في أمريكا ثم انتشرا في باقي العالم، في أوروبا والشرق الأوسط، وأخيرا رصد تطوره في إيالة الجزائر، ثم المنهج الوصفي التحليلي المقارن عند دراسة المجموعة حيث تبدأ الدراسة بالوصف من خلال وضع بطاقات فنية لكل رأس غليون يتضمن كل المعلومات اللازمة من رقم الجرد، المادة، المقاسات، التاريخ، المصدر، الوصف وأخيرا الصورة، وتلتها الدراسة التحليلية للمجموعة من خلال تناول مادة الصنع وطريقة الصناعة والزخرفة، مع محاولة تنميطها حسب الشكل.بمقارنتها مع مثيلاتها في أماكن أخرى.

[1] Nolwenn Guedeau, Etude préliminaire des pipes ottomanes du Khabour-st, Kurdistan irakien, l'exemple de Basstki et Muqable, mémoire de master2, département d'histoire de l'art et archéologie, université de Poitiers-UFR Sciences humaines et arts, 2018/2019, p.14, 15.

وقبل التطرق للموضوع لا بد من إعطاء تعاريف لمختلف المصطلحات التي لها علاقة بالتدخين وأدواته.

– **تعريف لفظ الدُّخَان:** العُثانُ، دخان النار معروف، وجمعه أَدْخِنة ودَواخِن ودَواخِينُ ومثل دُخّان ودواخِن عُثان وعواثِن، ودَواخِن على غير قياس. ودخن الدُّخانُ دُخوناً إذا سطع. ودَخَنْتُ النارُ تَدْخِن دُخَاناً: ارتفع دُخانها، وأَخَنت مثله على افْتَعلت. ودَخِنَت تَدخَن دَخَنًا: أُلقِي عليها حطب فأُفْسِدت حتى هاج لذلك دُخان شديد، وكذلك دَخِن الطعام واللحم وغيره دَخَناً، فهو دَخِن إذا أَصاب الدخان في حال طبخه حتى تغلب رائحته على طعمه، ودَخِن الطبيخ إذا تَدخّنت القدر وشراب دَخِن : متغير الرائحة.[1]

– **تعريف لفظ التَّبَغُ:** نبات من الفصيلة الباذِنْجَانيةُ يستعمل تدخينا، وسعُوطاً، ومضغاً، ومنه نوع يزرع للزينة.[2] وبالفرنسية Tabac من Tabaco بالإسبانية، وأصله من لغة هاييتي في البحر الكاريبي؛ وقد دخلت هذه الكلمة في معظم لغات العالم من اللغة الإسبانية.[3]

– **لفظ تُتُن:** بضمتين التبغ، ومنه اللقب " توتونجي" أصل معناه بائع التبغ. تركي tütün وأصل معناه الدخان الصاعد من النار. و "تُوتونجي" أصله التركي " tütüncü ".[4] ولا زال لحد الآن الأترك يلقبون التبغ بلفظ "توتون –Tütün) من فعل Tütmek وانتقل هذا الفظ بهذه الصفة ألى كل من اللغة البرغالية والرومانية و البولونية واللغة الرومانية .[5]

– **الغَلْيُون:** بفتح الغين وضم الياء غير مشبع أنبوب للتدخين له رأس مجوف يوضع فيه التبغ(معس). ويطلق عليه في اللغة الفارسية " قَلْيون" ومعناه النارجيلة، و معلوم أن القاف تنطق غينا بالفارسية، ولفظ قيلون لفظ محرف من " غَلْيان" بفتح الغين وكسرها، وسكون اللام وهو كذلك بمعنى النارجيلة، وهي كلمة عربية، أصلها "غَلَيانً" بفتحتين وسميت النارجيلة بهذه التسمية لأن الماء الذي فيها يتحرك عند التدخين كتحركه عند الغليان؛ فهذه الكلمة عربية عادت إلينا مشوها مبناها، ومغيرا معناها.[6]

2. ظهور التدخين وانتشاره في العالم:

1.2 ظهور تدخين التبغ في أمريكا :

يعود أصل التبغ أو الدخان إلى أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، ويرجح أن بداية زراعته كانت منذ 8000 سنة، وهناك خمسين نوع من التبغ وأشهرها هي Nicotiana rustica(أمريكا الشمالية) Nicotiana tabacum (أمريكا الوسطى والجنوبية)، حيث أثبتت التنقيبات الأثرية أن السكان المحليين لهذا المناطق كانوا يدخنون التبغ منذ ألاف السنين

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج 13، دار صادر، بيروت، ص. 147، 148. ونفس التعريف وضعه في قاموسه مجد الدين محمد الفيروزابادي، القاموس المحيط، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008،ص. 531 .

[2] المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص.82.

[3] فانيامبادي عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 2011، ص.77.

[4] فانيامبادي عبد الرحيم، نفسه، ص. 78.

[5] Alain Servantie, Notes sur les objets du tabac dans l’empire ottoman, 6 août 2016 p.4.

[6] فانيامبادي عبد الرحيم، نفسه، ص.148.

ماعدا سكان القطب الشمالي، subarctique septentrional ، الذين عرفوا التبغ بعد دخول الأوربيين لهذه المناطق، لقد عثر الأثريون في تنقيباتهم في بعض المقابر المؤرخة بـ 3000 سنة على مجموعة من الغلايين المصنوعة من مواد عديدة كالعظام والحجارة والطين وهي ذات أشكال وزخارف متنوعة، وما يثبت أيضا ظهور نبات التبغ في هذه المناطق هو العثور أيضا على تماثيل أو لوحات منقوش عليها صور تمثل أشخاص تشم أو تمضغ في التبغ؛ و كان التبغ يدخن بعدة طرق عند هذه الشعوب ففي البرازيل كان يدخن على شكل سيجارة، بينما عند شعوب فنزويلا فكانوا يفضلون المضغ لقطع الجوع والشرب، أما في أمريكا الشمالية فان الغليون هو الوسيلة المفضلة لديهم في التدخين، علاوة على هذه المزايا فان التبغ كان يستعمل في العلاج عند السكان الأصليين في أمريكا حيث كان يستخدم من طرف المايا في علاج العدوى وأيضا كدخان في تخفيف الربو، وتهدئة آلام لدغات الحشرات...الخ، كما استعمل التبغ في مجال الديني، فكان يقدم كقربان للأرواح، ويعتبر أيضا عنصرا أساسيا في العديد من الطقوس الدينية، وعنصرا مهما في الحياة الإجتماعية في مواسم الزراعة أو الحصاد و الإنجاب و الزواج والدفن وأيضا في الأحداث الدبلوماسية كالتجمعات أو التحالفات العسكرية.[1]

2.2 إنتشار التبغ في أوروبا ما بين القرنيين 15-16م:

تجمع المصادر الأوروبية على أن كرستوف كولوب هو الذي أدخل التبغ إلى أوروبا والتي تصادف مع أسفاره إلى أمريكا سنة 1492م، وكان زميله رودرقوز خيرس-Rodrigo Jerez يعد من الأوائل الذين مارسوا عملية تدخين التبغ الكوبي، مما أدى إلى دخول عادة التدخين إلى إسبانيا، ولكن للأسف بلغ عنه من طرف جيرانه الذين تخوفوا منه عند رؤيتهم للدخان الذي يخرج من أنفه وفمه، فحبس لمدة سبع سنوات، غير أن هذا الحدث الثانوي في رأي المؤرخون لم يمنع من انتشار التدخين في أوروبا منذ نهاية القرن 15م. وابتدأ من القرن 16م، توزعت هذه الثقافة في جميع العالم والتي دخلت عبر الموانئ من الجهة الغربية لإفريقيا وسواحل البحر المتوسط والسواحل الفرنسية- الإيبيرية، علما أن هذه المساهمة كانت على يد البحارة والجنود الذين كانوا معروفين باستهلاكهم الكبير للكحول والإدمان أيضا على تدخين التبغ.[2]

وأصبحت هذه الثقافة شعبية في أوروبا منذ أواسط القرن 16م، حيث كان دخول التبغ إلى فرنسا على يد (تيفت أ. – A. Thevet) وهو راهب فرنسي، ثم فيما بعد جون نيكوت- Jean Nicot سفير فرنسا في البرتغال في سنة 1560م، هو الذي سهم في نشر هذا الإستعمال ما بين الطبقة الراقية لدى المجتمع الفرنسي. أما في انجليترا يعتقد أنه (هوكينز ج. –J. Hawkins) الأميرال الثاني لـ (دراك-Drak) الذي أدخل أوراق التبغ سنة 1565، رغم أن أب التدخين هو (والتر رايلغ- Walter Raleigh) الذي نشر طريقة التدخين بالغليون في بلاط إنجلترا ، بينما دخول التبغ إلى ألمانيا سنة

[1] Catherine Ferland, « Mémoires tabagiques, l'usage du tabac, du XV^e siécle à nos jours » in revue drogue et santé et société, volume 6, numéro 1, 2007, pp.23, 24, 26. https://id.erudit.org/iderudit/016942ar

[2] Catherine Ferland, Op. Cit., pp.27, 28 et Khalil, Walid Ali and Gusach, Irina Rudolfovna "The collection of ottoman tobacco :pipes from azov museum-reserve in russia", in, Journal of the General Union of Arab Archaeologists Vol. 3: Iss. 1, Article 8, 2018, p.232. https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jguaa/vol3/iss1/8

1563م، كان عن طريق الهوغونوتيين البروتستانتيين الفرنسيين الفارين من التعذيب في الثلث الأخير للقرن 16م، ثم في سنوات الاحقة انتشر التدخين في النمسا سنة 1570، في سنة 1595 في كوريا واليابان والصين.[1]

أوصى الأطباء في أوروبا منذ سنة 1560م باستخدام التبغ في علاج الكثير من الأمراض كالصداع، الأمغاص، تهدئة آلام الأسنان، والقضاء على مشاكل التنفس...الخ، وذهبوا أيضا في سنة 1665إلى الإعتقاد أن التبغ يشفي من الطاعون وبصفة عامة ظنوا أن التبغ هو عشبة صحية، حيث لقبوها بعدة أسماء " عشبة لجميع الآلام" و " عشبة الملكة" و " العشبة المقدسة".[2]

3.2 إنتشار التدخين في الشرق الأوسط:

تذكر المصادر العثمانية أن عادة التدخين دخلت إلى الشرق الأوسط مع البحارة الأنجليز الذين نشروها في كل من اسطنبول ومصر مابين الفترة الممتدة من سنة 1599 و 1606م والتي انتشرت بسرعة في الإمبراطورية العثمانية، حتى أنه منع التدخين سنة 1612م خلال حكم السلطان أحمد الأول(1603–1617م)، وحرمت من السلطات الدينية في مكة تم معاقبة فاعلها بالإعدام من طرف مراد الرابع في سنة 1633م وذلك من جراء الحريق الذي دمر مساحة كبيرة من مدينة اسطنبول، ولقد انتشرت أيضا بسرعة ما تسمى "المقاهي" حيث كان الناس يقضون وقتهم يشربون القهوة ويتحدثون ويدخنون الغليون في جميع الإمبراطورية العثمانية، لذلك، في سنة 1646 في عهد السلطان إبراهيم الأول (1640–1648) أصدر فرمان رسمي السماح بالتدخين والتي تم المصادقة عليها سنة 1720 م بعد إصدار فتوى من طرف مفتي دمشق عبد الله النابلسي، لأن تجارة التبغ كانت تجلب أرباحا كبيرة لخزينة الدولة.[3]

انتشر تدخين التبغ واستعمال الغليون في أواسط القرن 16م في كل من إفريقيا والشرق الأوسط –بدون شك– عن طريق البحارة الإنجليز، وانتشر في بضعة سنوات في كل طبقات المجتمع العثماني، كان الرجال والنساء على حد السواء يدخنون الغليون، ولكن بينما كان يسمح للرجال بالتدخين في الأماكن العامة، لم يكن يسمح للنساء بالتدخين إلا في المنزل أو الحمام، وعمت عملية التدخين خلال القرنين 18م و19م إلى درجة أصبح فيها كل من التبغ والغليون شيء ضروري لا ينفصل عنه سكان المملكة العثمانية في نظر الرحالة الأوروبيين، حتى ظهور السيجارة سنة 1860م، هو الذي وضع حدا لإنتاج الغلايين من الطين، حيث لم تغلق آخر ورشة لصناعة الغلايين في اسطنبول التي كانت موجودة في طوبانة، أبوبها إلا في سنة 1929.[4]

أما عن صناعة التبغ في الدولة العثمانية فقد بدأت عام 1680م واتخذ نطاقا واسعا، وأصبح استخدام الغليون شائعا، وقد تطورت هذه الصناعة أكثر خلال الحرب الأهلية الأمريكية؛ وللحصول على استقلالية أكبر في الاستهلاك، كان من

1 Molimard R., Histoire du tabagisme, p.1.

2 Catherine Ferland, Op. Cit., p.29.

3 Véronique François, Objets du quotidien à Damas à l'époque ottomane, société et culture matérielle, Bulletin d'études Orientales, tomeLXI, 2012, P.487 http://beo.revue.org/1038

4 Laurent Bavay, Fumer comme un turc, les pipes ottomanes de la TT19 à Cheikh abd el-Gourna, p.26. et Khalil, Walid Ali and Gusach, Irina Rudolfovna, Op. Cit., p.234.

الضروري على الدولة العثمانية أن تزرع التبغ الخاص بها، حيث كان التبغ في البداية باهظ الثمن لأنه كان مستورداً، ثم ابتداء من عام 1700م، بدأ إنتاج التبغ في شمال سوريا وشرق الأناضول، كما كان يستورد من إيران.[1]

أصبح الدخان في الدولة العثمانية منذ القرن 17م يقدم للزوار مع القهوة وبالتالي صار تقديم الغلايين للتدخين عنصرا أساسيا من عناصر الضيافة. وقد أدى ذلك إلى تخصصهم في دور خدم كبار الإمبراطوريةّ، حيث كان في السراي التوتونجو أو الدخانجي باشي (رئيس التبغ) وهو جندي في الجيش العثماني بمرتبة وزير، له غرفة خاصة به؛ حيث كان لدى كبار الدولة والأغنياء في منازلهم خادم يلقب بـ çubukçu يقدم للضيوف حاملا غليونا طويلا في يده، كان يقيس المسافة بعناية، ويضع صينية صغيرة من النحاس أو الفضة على الأرض، ويضع عليها رأس الغليون، وبمهارة يقوم بحركة دائرية بطرف المبسم ليصل به الى شفاه المدخن، وبعد الإنتهاء من ذلك يضع الفحم على الغليون، ويكون قد بدأ بتدخينه بنفسه على عتبة الباب بلطف، وكان لا بد من وجود طاقم كامل مخصص للغلايين في المنازل التي تستقبل الكثير من الضيوف.[2]

4.2. إنتشار التبغ في المغرب الأوسط خلال الفترة العثمانية:

انتشر تدخين التبغ واستعمال الغليون في إيالة الجزائر خلال الفترة العثمانية، إذ من المرجح أن تدخين التبغ لم يكن معروفا في المغرب الأوسط قبل القرن 16م؛ يعتبر التبغ أحد المحاصيل الرئيسية في إيالة الجزائر، والذي كان حصاده في ضواحي مدينة الجزائر، يتميز هذا التبغ بالنعومة ونوعه جيد للتدخين، والذي كان يصدر الكثير منه إلى تونس وطرابلس، بينما التبغ الذي كان يغرس في مدينة عنابة فكان قوي التركيز نوعا ما عن تبغ مدينة الجزائر. أما سعره فكان 2 موزونة للرطل الواحد و16 أوقية و3 موزونات ذات الجودة العالية، و بشكل عام كان يباع على شكل 100 كتلة، كل كتلة تشكل لفافة تزن حوالي رطل وسعرها يتغير حسب الجودة، بينما كانت الغلايين من المنتجات التي كانت تستورد من تركيا.[3]

كان بمدينة الجزائر سوقا خاصا بحرفة صناعة وهو ما تبينه إحدى وثائق بيت المال عن طبيعة النشاط الممارس بسوق الدخان في منتصف القرن 18م قبل أن أعاد تجديده الداي علي باشا نقسيس (1754-1766م) في فبراير عام 1765م.[4] وتبين وثيقة أخرى في عقد كراء أن جماعة لقبالة كان لهم حانوتين يقعان بسوق الدخان؛[5] علاوة على وجود سوق خاص ببيع الدخان في مدينة الجزائر، توجد أيضا بعض الحوانيت التي أقيمت في ما يعرف بالسويقات التي عادة ما كانت بها نشاطات تجارية مختلفة الغرض منها تلبية حاجات السكان المقيمين بها للتقليل لهم من العناء والجهد، إذ

[1] Nolwenn Guedeau, Etude préliminaire des pipes ottomanes du Khabour-st, Kurdistan irakien, l'exemple de Basstki et Muqable, mémoire de master2, département d'histoire de l'art et archéologie, université de Poitiers-UFR Scinces humaines et arts, 2018/2019, p.11, 12.

[2] Alain Servantie, Notes sur les objets du tabac dans l'empire ottoman, 6 août 2016 p.2, 3.

[3] Venture de Paradis, Alger au XVIII^{eme} siécle, édition Bouslama, Tunis, 2eme édition, S.D., p.24, 28 .

[4] غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، 1700-1830، مقاربة اجتماعية- اقتصادية، منشورات ANEP ، الجزائر، 2007، ص.205، 206.

[5] غطاس عائشة ص.31، 33.

حسب الوثائق الأرشيفية لسجل بيت المال الخاص بالحوانيت الموقوفة على الحرمين الشريفين، ذكر فيها أنه كان يوجد بسويقة باب الواد حانوتا لبيع الدخان وآخر لبيع الخضر.[1]

ومن أهم الصنائع التي كانت موجودة في مدينة الجزائر من خلال مسح لدفاتر بيت المال المؤرخة ما بين سنة 1807-1826م، اتضح أن أغلبيتها كانت لصانعي الحرير، إذا ورد ترتيبهم حسب الأهمية كالآتي: الحرارون (22 حالة) الحفافون (21 حالة) القهواجية (18 حالة) والحواتون (16 حالة) والدخاخنية (13 حالة) ....الخ.[2]

يذكر روزي أن العرب كانوا يدخنون أقل من الأندلسيين و خاصة مع احتساء القهوة في المقهى، وهم الذين يقومون بتحضيره وهو ذو جودة عالية ولكن قوي نوعا ما، وكان الرؤساء والأثرياء يحتفظون بالتبغ بداخل علب مصنوعة من الخشب، القرون ، الفضة وحتى من الذهب والبعض الآخر يضعون التبغ في قصبة أحد طرفيها مسدود بقطعة من خشب، ويعلقون هذه العلبة في حزامهم بينما الأثرياء الأندلسيون فكانوا يضعون علبة التبغ في جيب سترتهم ويعلقون كيس التبغ بأحد أزرارهم ويحملون غالبا غليونهم في أيديهم.[3]

أما عن تدخين التبغ فكان يتم من طرف الرجال في أماكن متعددة مثل الأماكن العامة والحوانيت وخاصة المقاهي، واستعمل تدخين الغليون في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني حتى في الحمامات مع استهلاك القهوة، ولقد انتشر أيضا في مدينة الجزائر نفس طرق وعادات التدخين التي انتشرت في مدينة اسطنبول حيث كان الأندلسيون والعثمانيون يجلسون في المقهى على مقاعد، وبعدها بقليل يأتي إليهم صبي بفحم لإشعال غلاييهم مرفقين ذلك بشرب فناجين من القهوة.[4]

ونشير إلى وجود ألبومات تعود إلى بداية الفترة الإستعمارية تحمل لوحات لمشاهد مختلفة من الحياة اليومية للجزائريين مثل لوحة توضح مشهدا لأندلسيين من مختلف طبقات المجتمع يحملون غلايين قصد التدخين (اللوحة 1)

3. أدوات التدخين العثمانية ومكوّناتها:

تتميز الغلايين الطينية العثمانية خلافا لمثيلاتها الأوروبية المكونة من قطعة واحدة، أنها تتركب من ثلاث قطع، (الشكل1) الرأس (Lüle) بالعثمانية وهي مصنوعة عادة من الطين وفي أغلب الأحيان تصنع بالقالب،(الصورة1) تلصق بها قصبة مخرمة طولها يفوق 1.50م، وهو الذي يبرد الدخان، وهو مصنوع عادة من خشب أشجار الياسمين، الأزهار، الكرز، البندق،[5] كما كانت بعض القصبات تزين بدقة شديدة، وأخيرًا، ينتهي الكل بقطعة تسمى المبسم الذي يوضع

[1] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص.211.

[2] غطاس عائشة، مرجع السابق، ص.229.

[3] Rozet, M. , Voyage dans la régence d'Alger, tome : 2, Arthurs Bertrand, libraire-éditeur, Paris, 1833, 54, 169.

[4] Idem, p.61.

Laurent Bavay, Fumer comme un turc, les pipes ottomanes de la TT19 à Cheikh abd el-Gourna, p.26

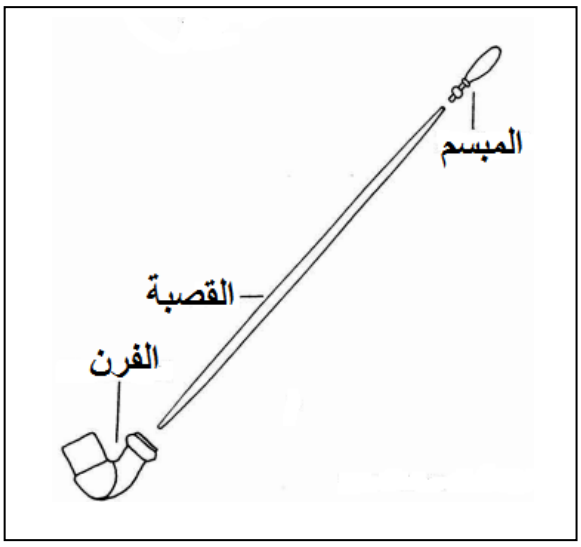
مباشرة في الفم، مصنوع من مادة أغلى ثمنا من الغليون في حد ذاته مثل الأحجار الكريمة، العنبر والعاج والعظم والعقيق والياقوت واليشم واللازورد والمرجان أو حتى المعدن.[1]

انتشر هذا النوع من الغلايين الثلاثية الأجزاء تدريجيا في البداية في آسيا الصغرى ثم في البلقان وعلى طول ساحل البحر الأسود بأكمله، وبمرور الزمن وصلت إلى أراضي أوروبا وروسيا حيث أطلق عليها اسم الغليون التركي أو "الغليون العثماني" ولما أصبح كل ما هو شرقي موضة في القرن 19م، بدأوا يطلقون عليه "غليون من النوع الشرقي".[2]

كان يحتفظ بالتبغ بداخل علبة مصنوعة من الخشب أو الفضة أو الذهب ومطعمة بالأحجار الكريمة، ويحتفظ به أيضا في كيس صغير من الساتان الحريري أو من قماش أخر مطرز ومربوط بأشرطة ذهبية.[3]



الصورة 01: العناصر المكوّنة لرأس الغليون العثماني.
(عن روبنسنRobinson بتصرف)



الشكل01 : أجزاء الغليون
(عن روبنسنRobinson بتصرف)

[1] Nolwenn Guedeau, Op. Cit., p. 12.

[2] Khalil, Walid Ali and Gusach, Irina Rudolfovna "T he collection of ottoman tobacco pipes from azov museum-reserve in russia", in, Journal of the General Union of Arab Archaeologists : Vol. 3: Iss. 1, Article 8.2018, p.232. https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jguaa/vol3/iss1/8

[3] Alain Servantie,Op. Cit., p.4.



لوحة 1: أندلسيون يقومون بتدخين الغلايين(عن روزيRozet بتصرف)

ISSN: 1111-7699
EISSN: 2600-6499

4. الدراسة الوصفية:

4. 1. رأس غليون

رقم الجرد: II.B.276

المادة: خشب الخلنج؟ ، نحاس، مرجان.

المقاسات: إرتفاع الفرن:7سم، قطر فوهة الكبيرة:5 سم، قطر الفوهة الصغيرة: 2.03سم.

التاريخ / الفترة: 13هـ/19م.

المصدر: مدينة الجزائر.

الوصف:

رأس غليون منحوت في قطعة خشب واحدة، يتخذ الفرن شكلا كرويا يحمل نقوشا هندسية مطعمة بخيوط نحاسية، تنقسم الزخارف على البدن إلى قسمين، السفلية عبارة عن أقواس متتالية مطعمة بخيوط نحاسية، تتخللها قطع صغيرة من المرجان، يليها خطان مزدوجان من الخيوط النحاسية ثم دوائر غير مكتملة بداخلها قطعة من المرجان، ينتهي البدن بفوهة ضيقة في الأعلى تنتهي بصحيفة نحاسية مثبتة بمسامير نحاسية دقيقة. أما الأنبوب الذي يثبت فيه قصبة التدخين فزخرف هو الآخر بقوسين متتاليين يتوسطهما قطعة من المرجان، يعلوها خطان مزدوجان من النحاس، قاعدة الفرن على شكل عارضة مطعمة بخيط من النحاس يصل امتداده إلى أعلى الأنبوب.



الصورة 02: رأس غليون

4. 2. رأس غليون

رقم الجرد: .II.B.277

المادة: خشب الخلنج؟، نحاس، مرجان.

المقاسات: إرتفاع الفرن:6.5 سم، قطر الفوهة الكبيرة:6 سم، قطر الفوهة الصغيرة: 3سم.

التاريخ / الفترة: 13هـ/19م.

المصدر: مدينة الجزائر.

الوصف:

رأس غليون منحوت في قطعة خشب واحدة، على شكل زهرة الزنبق، يتخذ الفرن شكلا كرويا ورقبة متوهجة أو منفرجة، تحمل مدخنة الغليون نقوش هندسية مطعمة بخيوط نحاسية تنقسم إلى قسمين نقش على البدن خمسة دوائر متداخلة ومتتالية تتوسطها قطع صغيرة من المرجان، يليها خط من النحاس، أما الرقبة فزخرفت بثلاثة أنصاف دوائر بداخلها قطعة من المرجان، ثم ينتهي الفرن بفوهة ضيقة في الأعلى سطحها متموج مغطي بصحيفة نحاسية مثبتة بمسامير نحاسية دقيقة. أما الأنبوب الذي يثبت فيه قصبة التدخين فزخرف هو الآخر بدوائر متداخلة تتوسطها قطعة ن المرجان، يعلو الدائرة خمسة خيوط من النحاس، غطيت أيضا فوهة الأنبوب بصحيفة من النحاس ثبتت بمسامير دقيقة.



الصورة 03: رأس غليون

ISSN: 1111-7699
EISSN: 2600-6499

4. 3 رأس غليون

رقم الجرد: .II.B.278

المادة: خشب الخلنج؟، نحاس، مرجان.

المقاسات: إرتفاع الفرن:7سم، قطر الفوهة الكبيرة:7 سم، قطر الفوهة الصغيرة: 2.75 سم.

التاريخ/ الفترة: 13هـ/19م.

المصدر: مدينة الجزائر.

الوصف:

رأس غليون منحوت في قطعة خشب واحدة شكلها يشبه القلة، يتخذ الفرن شكلا ذو ثمانية أضلاع يحمل نقوش هندسية مطعمة بخيوط نحاسية تنقسم الزخارف عليه إلى قسمين البدن يحتوي الجزء السفلي منه على مجموعة من الدوائر منها ما تحمل ثلاثة دوائر وأخرى أربعة متداخلة وزعت كل مجموعتين من الدوائر بداخل مضلع تتوسطها قطعة من المرجان، بينما في الجزء العلوي من البدن زخرفت بمجموعة واحدة من خمسة دوائر متداخلة ومتتالية بداخلها قطعة من المرجان، اما القسم العلوي المتمثل في الرقبة يحمل هو الأخر مجموعة واحدة من الدوائر المزدوجة ثم ينتهي وعاء الفرن بفوهة ضيقة في الأعلى غطي سطحها بصحيفة نحاسية مثبتة بمسامير نحاسية دقيقة. أما الأنبوب الذي يثبت فيه قصبة التدخين فزخرف هو الآخر بدوائر متداخلة مشكلة حرف S اللاتيني تتوسطها قطعة من النحاس، يعلو هذه الدوائر خطين مزدوجين من النحاس، غطيت أيضا فوهة الأنبوب بصحيفة من النحاس ثبتت بمسامير دقيقة.



الصورة 04: رأس غليون

ISSN: 1111-7699
EISSN: 2600-6499

4. 4 رأس غليون

رقم الجرد:.II.B.279

المادة: خشب الخلنج؟، نحاس.

المقاسات: إرتفاع الفرن:6.50 سم، **قطر الفوهة الكبيرة:**4.50 سم، **قطر الفوهة الصغيرة:** 2.57سم.

التاريخ/ الفترة: 13هـ/19م.

المصدر: مدينة الجزائر.

الوصف:

رأس غليون منحوت في قطعة خشب واحدة شكلها يشبه القلة، يتخذ الفرن شكلا ذو ثمانية أضلاع يحمل نقوش هندسية مطعمة بخيوط نحاسية تتقسم الزخارف على البدن إلى ثلاثة أشرطة، الشريط السفلي به زخارف تتمثل في مجموعة من الدوائر تنتهي في الأسفل بخط عمودي، وتتوسط هذه الدوائر نقطة من النحاس، أما الشرطان الباقيان يحملان زخرفة تتمثل في مستطيلات متتالية بداخلها خطين متقاطعين، مشكلة أربعة مثلثات، ومعينات بداخلها نقطة من النحاس، أما الرقبة فتحمل نفس الزخارف الموجودة في الشريطين السابقين، ثم ينتهي الفرن بفوهة ضيقة في الأعلى غطي سطحها بصحيفة نحاسية مثبتة بمسامير نحاسية دقيقة. أما الأنبوب الذي يثبت فيه قصبة التدخين زخرف بأقواس متتالية أسفله مجموعة من المعينات بداخلها نقاط من النحاس.



الصورة 05: رأس غليون

4. 5 رأس غليون

رقم الجرد: II.B.280

المادة: خشب الخلنج؟، نحاس، المرجان.

المقاسات: إرتفاع الفرن:7.50سم، قطر الفوهة الكبيرة:4.50سم، قطر الفوهة الصغيرة: 2سم.

التاريخ/الفترة: 13هـ/19م.

المصدر: مدينة الجزائر.

الوصف:

رأس غليون منحوت في قطعة خشب واحدة شكلها يشبه القلة، يتخذ الفرن شكل ثماني أضلاع بينما الفوهة تتخذ شكل مستدير يحمل الوعاء نقوش هندسية مطعمة بخيوط نحاسية تنقسم الزخارف على البدن إلى شرطين، الشريط السفلي به زخارف تتمثل في أنصاف دوائر متقابلة مشكلة قلب يتوسطها قطعتين من المرجان يقسمها عموديا خط من النحاس، يعلو هذا الشكل خطين من النحاس ثم يليه شريط علوي به عناصر هندسية مستطيلات بها خطين متقاطعين، مشكلة أربعة مثلثات بداخل كل مثلث نقطة من النحاس، أما الرقبة فتتخذ شكلا مستديرا زخرف بخطين من النحاس بداخلهما مثلثات متتالية تتوسطها ثلاث نقاط من النحاس، ثم ينتهي الفرن بفوهة ضيقة في الأعلى غطي سطحها بصفيحة نحاسية مثبتة بمسامير نحاسية دقيقة. أما الأنبوب الذي يثبت فيه قصبة التدخين زخرف بدوائر متداخلة مشكلة حرف S اللاتيني تتوسطها قطعة من النحاس، يلي هذه الدوائر خطين مزدوجين من النحاس، غطيت فوهة الأنبوب بصحيفة من النحاس ثبتت بمسامير دقيقة. وما يلاحظ على هذه المدخنة أن ليس لها قاعدة ترتكز عليها.



الصورة 06: رأس غليون

ISSN: 1111-7699
EISSN: 2600-6499

4. 6 رأس غليون

رقم الجرد: **II.B.282**

المادة: خشب الخلنج؟، نحاس، مرجان.

المقاسات: إرتفاع المدخنة:10 سم، **قطر الفوهة الكبيرة:**5.52 سم، **قطر الفوهة الصغيرة:** 2.50سم.

التاريخ / الفترة: 13هـ/19م.

المصدر: مدينة الجزائر.

الوصف:

رأس غليون منحوتة في قطعة خشب واحدة شكلها يشبه القلة، تحمل نقوش هندسية مطعمة بخيوط نحاسية زخرف البدن بزخارف على شكل أخاديد عمودية عريضة في الأعلى وتنتهي في الأسفل بشكل شعاعي، تتخلل هذه الأخاديد أقواس مزدوجة متتالية تتوسطها قطعة صغيرة من المرجان، يليها نتوء سداسي الأضلاع به سلسلة من المثلثات ثم يفصل ما بين البدن الرقبة شريط بارز زخر بخيط من النحاس، أما الرقبة فهي سداسية الأضلاع زخرفت بمستطيلات متتالية بداخلها خطين متقاطعين، مشكلة أربعة مثلثات بداخل كل مثلث قطعة من المرجان أو نقطة من النحاس، ثم ينتهي الفرن بفوهة ضيقة في الأعلى غطي سطحها بصحيفة نحاسية مثبتة بمسامير نحاسية دقيقة. أما الأنبوب الذي يثبت فيه قصبة التدخين زخرف بدوائر مزدوجة تشكل مع بعضها البعض حرف S اللاتيني بداخلها قطعة من النحاس، كما غطيت فوهة الأنبوب بصحيفة من النحاس.



الصورة 07: رأس غليون

3. 7 رأس غليون

رقم الجرد: .II.B.283

المقاسات: إرتفاع الفرن:10 سم، قطر الفوهة الكبيرة:5.52 سم، قطر الفوهة الصغيرة: 2.04سم.

المادة: خشب الخلنج؟، نحاس، مرجان؟.

التاريخ / الفترة: 13هـ/19م.

المصدر: مدينة الجزائر.

الوصف:

رأس غليون منحوتة في قطعة خشب واحدة شكلها يشبه القلة، يحمل الفرن نقوش هندسية مطعمة بخيوط نحاسية، يتخذ الجزء السفلي من البدن شكلا نصف كروي زخرف بثلاثة دوائر غير مكتملة مشكلة مجموعة متراصة فوق بعضها البعض تتوسطها قطعة صغيرة من المرجان، يلي هذا الشريط نتوء به شريط من الدوائر المزدوجة المتتالية تتوسطها نقطة من النحاس، تشكل هذه الأخيرة سلسلة على شكل حرفS اللاتيني، ثم يلي هذا الشريط جزءا بارزا زخرف بخطين متباعدين يتخللهما نقاط متتالية من النحاس، أما رقبة الوعاء تحمل نفس الزخارف الموجودة في الأسفل، ينتهي الفرن بفوهة غطي سطحها بصحيفة نحاسية مثبتة بمسامير نحاسية دقيقة. أما الأنبوب الذي يثبت فيه قصبة التدخين فزخرف هو الأخر في أسفله بمثلثين مزدوجين رأسهما للأسفل متتالية يعلوها ثلاث دوائر غير مكتملة بداخلها قطعة من النحاس، غطيت فوهة الأنبوب بصحيفة من النحاس مثبتة بمسامير دقيقة، كما زخرفت قاعدة مدخنة الغليون بثلاث دوائر يتوسطها قطعة من المرجان.



الصورة 08: رأس غليون

4. 8 رأس غليون

رقم الجرد: .II.B.303

المادة: خشب الخلنج، نحاس، مرجان.

المقاسات: إرتفاع الفرن:8 سم، قطر الفوهة الكبيرة:6.50 سم، قطر الفوهة الصغيرة: 3سم.

التاريخ / الفترة: 13هـ/19م.

المصدر: مدينة الجزائر.

الوصف:

رأس غليون منحوتة في قطعة خشب واحدة، يتخذ الوعاء شكلا نصف بيضاوي، يحمل نقوش هندسية مطعمة بخيوط نحاسية، زخرف البدن بستة نتوءات عمودية تلتقي في الأسفل مطعمة بخيوط من النحاس، تتخلل هذه النتوءات مساحة زخرفت بأربع أنصاف دوائر متموجة على شكل حرف S اللاتيني، يتوسط هذه الأنصاف دوائر قطع من المرجان، ينتهي الوعاء بفوهة عريضة مغطاة بصحيفة نحاسية مثبتة بمسامير نحاسية دقيقة. أما الأنبوب الذي يثبت فيه قصبة التدخين فزخرف هو الآخر بنفس الزخارف الموجودة على البدن، يعلوها خيطان مزدوجان من النحاس، كما غطيت فهوة الأنبوب بصفيحة من النحاس.



الصورة 09: رأس غليون

4. 9 رأس غليون

رقم الجرد: II.B.304

المادة: خشب الخلنج؟، نحاس، مرجان.

المقاسات: إرتفاع الفرن:7 سم، قطر الفوهة الكبيرة:5.50 سم، قطر الفوهة الصغيرة: 2.50سم.

التاريخ / الفترة: 13هـ/19م.

المصدر: مدينة الجزائر.

الوصف: رأس غليون منحوتة في قطعة خشب واحدة، يتخذ الفرن شكلا كرويا يحمل نقوش هندسية مطعمة بخيوط نحاسية، يحمل البدن شريطين من الزخارف، تتمثل زخرفة الشريط السفلي في مجموعة من الأقواس المتتالية تتخللها بالتناوب قطعة صغيرة من المرجان أو من النحاس، يفصل بين هذه الأقواس خيط عمودي، يفصل ما بين الشرطين خطيين مزدوجين من النحاس ثم يلها الشريط العلوي الذي يحمل زخرفة من مجموعة من الدوائر غير المكتملة متتالية بداخلها قطعة من المرجان، ينتهي الوعاء بفوهة ضيقة في الأعلى تنتهي بصحيفة نحاسية مثبتة بمسامير نحاسية دقيقة. أما الأنبوب الذي يثبت فيه أنبوب التدخين فزخرف بدوائر ملتوية تشكل حرف S اللاتيني يتوسط هذه الأشكال قطعة من المرجان، يعلوها خيطان مزدوجان من النحاس، ينتهي الوعاء في الأسفل بعارضة مطعمة بخيط من النحاس. وما يلاحظ على المدخنة الغليون زخرفتها أيضا بنقاط من القطع النحاسية على الوعاء والمقبض، وهو شبيه للقطعة الأولى.



الصورة 10: رأس غليون

5. الدراسة التحليلية:

5. 1. دراسة الشكل :

من خلال الدراسة الوصفية للغلايين التسعة المحفوظة في المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة بالعاصمة، يتبين لنا أن رؤوس الغلايين محل الدراسة كانت ذات أحجام وأشكال متباينة، إذا ما قارناها من حيث الأحجام فارتفاعاتها تتراوح بين 6.5–10 سم، ويبدو من هنا أن فارق الطول بينها كان ضئيلا؛ أما قطر الفوهة الكبيرة التي يخرج منها الدخان يتراوح قطرها ما بين 4.50–7سم، بينما يتراوح قطر الفوهة الصغيرة التي يوضع فيها الأنبوب الخاص باستنشاق الدخان ما بين 2 – 3 سم، ومن هنا يتبين أن قطر القصبة التي يدخن بها لا يتعدى مقاسها 3سم وليس أقل من 2سم حيث هو أقل ببعض المليمترات.

وتبدو هذه الغلايين ثقيلة الوزن إذا ما قارناها بتلك المحفوظة في متحف Quai Branly, Jaques Chirac إذ يتراوح وزنها مابين 95و 201 غ، ولهذا نستنتج أن مجموعة المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة كانت لها أنابيب طويلة وتوضع في الأرض لكي يستطيع الشخص تدخين التبغ، وبدون شك أنها كانت من بين الأدوات التي كانت مستقرة و تستعمل سواء في المنزل أو المتجر أو القهوة وليس من نوع تلك الغلايين المتنقلة التي تطوى ويحملها المدخن معه.

كم كان حجم الغلايين في القرنيين 17م و18م صغيرا وذلك راجع لكون عشبة التبغ كانت نادرة وغالية، وبمرور الوقت أخذت الغلايين أحجاما أكبر، و مثالا عن ذلك الغلايين التي تم العثور عليها في ورشات عثمانية في شرق القاهرة.[1]

ولهذا نرجح أن الغلايين المدروسة ترجع بالفعل للقرن التاسع عشر الميلادي وكدليل على ذلك نماذج الغلايين الموجودة في

متحف Quai Branly, Jaques Chirac بباريس وهي مجموعة لا بأس بها[2] بعضها شبيهة برؤوس الغلايين المحفوظة بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة وبعضها الآخر له أشكال أخرى ولكنها من نفس الطراز؛ إذ نقرأ على البطاقة التقنية للمتحف أن هذه الغلايين مؤرخة بين نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، اقتنيت من طرف متحف الإنسان بباريس سنة 1889، وأغلبها أرجع مصدرها إلى منطقة الأوراس بالجزائر، بينما واحد من بين المجموعة نسب إلى قارة أسيا الوسطى وبالضبط إلى منطقة تركستان وهو الذي يحمل رقم الجرد 71.1962.11XAS، وهو شبيه بأحد الغلايين مجموعة الأوراس، وأيضا شبيه بغليونين من مجموعة المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة وهما (رقم 01، رقم 09)، بينما مواقع بيع التحف ترجعها إلى تركيا(الدولة العثمانية)، ولكن الدراسات حول الغلايين العثمانية معظمها تركز على تلك المصنوعة من الطين ويذكرون أن العثمانيين صنعوا غلايين من مادة الخشب ولكن لا نجد معلومات كافية عنها.

[1] للمزيد من المعلومات أنظر: Pradines, S., « Note préliminaire sur un atelier de pipes ottomanes à l'est du Caire », in : cahiers Egyptienne 7, IFAO, Le Caire, 2004, p.284.

[2] كانت هذه الرؤوس من الغلايين محفوظة بمتحف الإنسان، في باريس ثم نقلت لمتحف المذكور في الأعلى تحمل أرقام الجرد الآتية: 71.1889.79.24، 71.1962.11XAS ، 71.1889.79.25، 71.1889.79.232، 71.1889.79.6، 74.1962.0.1053

2.5. مادة الصنع:

صنعت مجموعة رؤوس الغلايين التسعة المحفوظة في المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة من خشب الخلنج[1] (الصورة 11) والذي يعرف باللغة الفرنسية Bruyére، أما الإسم العلمي لهذه الشجرة فهو Erica arborea، وهي نبات إفريقي – متوسطي، متواجد في جبال إفريقيا الاستوائية وفي منطقة البحر المتوسط، عبارة عن شجيرة عادة ما يبلغ طولها من 0.50 إلى 1.50م في المناطق التي يتم قطعها أو حرقها بشكل متكرر، بينما إذا تركت لحالها يمكن أن يصل ارتفاعها في جنوب فرنسا والجزائر[2] من 3 إلى 4 أمتار؛ استخدمت أنواع الخلنج الذي كان ينمو بشكل عفوي في أوروبا لصناعة المكانس، و الأسمدة ، و كفراش للحيوانات و للتدفئة، ويوجد نوعا واحدا وهو Erica Arborea الذي كانت جذوعه تستعمل في صناعة رؤوس الغلايين لتدخين التبغ، وهذا من بين 17 نوع معروف في شمال إفريقيا وأوروبا.[3]



الصورة 11: جذع شجرة الخلنج.(عن: https://www.pipe.fr)

[1] وهذا حسب ما ورد في بعض المواقع لبيع التحف القديمة مثل :leboncoin.fr ، والبطاقات الفنية لمتحف Quai branly بباريس حيث ورد ذكر مادة الخلنج في صنع الغلايين.

[2] بلغت مساحات غابات الخلنج في الجزائر سنة 1927، 423000 هكتار، تنبت هذه الشجرة في المناطق الجبلية حيث تتواجد شجرة الصنبور والفلين، وتوجد أيضا في منطقة التل، حيث توجد بغزارة بمقاطعتي قسنطينة ومدينة الجزائر بينما هي نادرة في الغرب الجزائري ما عدا منطقة تلمسان، وكانت مستغلة هذه الشجرة في الفترة الإستعمارية بشكل رئيسي في المدن الآتية : جيجل، سكيكدة، بجاية، القل والميلية. كانت الجزائر في هذه الفترة المنتج والممون الرئيسي للسوق العالمي لقطع الخلنج لصناعة الغلايين حيث كانت هذه يصدر إلى كل من فرنسا، ألمانيا، وخاصة الولايات المتحدة. أنظر:

Chevalier, A., « Note sur l'Erica arborea et sur l'emploi de ses souches dans la fabrication des pipes(suite et fin) », in revue de botanique appliquée et agriculture coloniale,7e année , bulletin n°75, novembre 1927, p.739.

[3] Chevalier, A., « Note sur l'Erica arborea et sur l'emploi de ses souches dans la fabrication des pipes », in : revue de botanique appliquée et agriculture coloniale,7e année , bulletin n°74, novembre 1927, pp.649, 650.

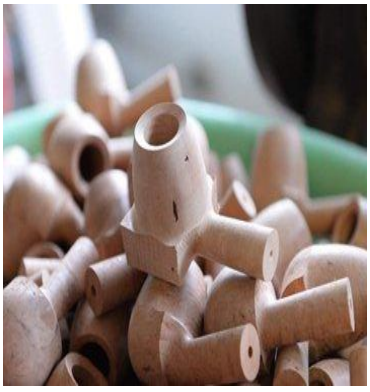
3.5.طرق الصناعة وتقنيات الزخرفة:

قبل استغلال خشب الخلنج لابد من ترك الأشجار تنمو على الأقل 40 سنة حتى تصل جذوعها إلى حجم قابل للقطع، ويتم استغلال خشب الخلنج في فصل الشتاء ابتداء من نهاية أكتوبر إلى بداية جويلية، واستخراجها في فترة أخرى من السنة أمرا مستحيلا بسبب قسوة التربة وضرورة ترطيب الجذوع باستمرار؛ واستخراج هذه الجذوع يعتبر عملا شاقا لأنه يستلزم البحث عن أشجار الخلنج في الأدغال ثم قطع الجذور والأغصان لاستخلاص الجذوع، وفي انتظار نقلها إلى الورشة يجب حمايتها من الهواء والضوء لتجنب كسرها، لذلك يجب إما دفنها أو وضعها في أكوام وتغطيتها بالتراب والأغصان التي يجب أن تبقى رطبة باستمرار. يحول الجذع إلى لوحات باستخدام منشار دائري، ثم إلى كتل صغيرة تسمى " القوالب الأولية " ثم توضع هذه القطع المشكلة على شكل رأس غليون أولي ثم تغلى لمدة 10–12 ساعة لتدمير العصارة، ثم توضع على شبكات لكي تجفف في الهواء الطلق لمدة تتراوح بين 6 أشهر إلى سنة واحدة، حسب الموسم، و منهم من يستخدم مجففات هوائي للتجفيف، وبمجرد أن تجف القطع تماما، يتم تصنيفها وفرزها حسب الحجم، فتوضع القطع الكبيرة لوحدها والصغيرة لوحدها.[1] تمر عملية صناعة رأس غليون من الخشب بعدة مراحل وهذا يكون حسب أهمية الورشة ومن أهم هذه المراحل وهي[2]:

– **المعايرة:** وهي عملية قطع القطع الأولية لمنحها سمكا و إرتفاعا موحدين، أي تصبح القطع ذات مقاسات موحدة، إما كبيرة أو صغيرة الحجم.

– **التشكيل الأولي والتشذيب:** التشكيل الأولي هو إعطاء شكل للفرن، ومنها يمر الحرفي إلى الحفر بداخل الفرن وتفريغه بطريقة التدوير، وبنفس الطريقة يتم تشكيل الأنبوب، وفي هذه المرحلة سيحدد شكل رأس الغليون.

– **التقشير :** وهي عملية إزالة الفائض من الخشب الموجود بين الفرن والأنبوب واللذين تم تشكيلهما باستخدام أداة متعددة الشفرات تدور بسرعة عالية، ولإنهاء عملية التفريغ بشكل جيد يتم تنفيذ هذه العملية جزئيا يدويا باستخدام المبرد.



الصورة 12: عملية التقشير (عن: https://www.pipe.fr)

[1] https://www.pipe.fr/fr/blog/etapes-fabrication-pipe-bruyere-n73

[2] Ibid.

- **حفر الأنبوب:** الفرن أصبح مشكلا وواضحا بينما الأنبوب لا يزال غير محفور، لذلك يتم حفر الأنبوب من الداخل وربطه بالفرن، يجب أن يكون الحفر دقيقا لأنه يسمح بانشاء قناة لمرور الدخان.

–**التركيب:** يقوم الحرفي في هذه المرحلة بتعديل الأنبوب ليتناسب مع الفرن. تستخدم عدة أنواع من الخشب لتصميم أنبوب الغليون. ثم يكيف كل أنبوب مع الفرن بدقة، فلا يجب أن يكون ضيقا جدا أو فضفاضا جدا، كما يتولى الحرفي ضبط انحناء الأنبوب وفق الرغبة المرجوة.

– **التلميع:** وهي خطوة دقيقة لأنها تؤثر على المظهر النهائي للغليون، تتطلب هذه الخطوة تلميع الفرن والأنبوب، عدة مرات باستخدام صفائح مبطنة باللباد مغطاة بقطعة قماش كاشطة ذات حبيبات صغيرة جدا، وبعد ذلك يصبح الغليون ناعما جدا عند لمسه.

– **الطلاء والتفتيح:** وهو طلاء الغليون بلون معين، أو تلميعه بالشمع، بعد الطلاء يتم صقل سطح الغليون وتلميعه وهذه العملية تسمى "التفتيح"، تسمح هذه الخطوة بتغلغل اللون الداكن وإبراز عروق الخشب الفاتح.

– **تثبيت العلامة** : أصبح الغليون جاهزا ولم يتبق سوى لمسة أخيرة وهي وضع العلامة المتمثلة في ختم الورشة أو إسم الصانع.

بعد الانتهاء من تصميم رأس الغليون وتشكيله نهائيا يبدأ الحرفي في زخرفة أجزائه، برسم الأشكال المراد تنفيذها، تتمثل الزخرفة على مجموعة رؤوس الغلايين المدروسة في عناصر هندسية رسمت على بدن الفرن والأنبوب متمثلة في دوائر متداخلة، أنصاف دوائر متداخلة و متموجة على شكل حرف S اللاتيني، مستطيلات ومثلثات ومعينات وأقواس؛ حيث استعمل الحرفي طريقة واحدة وهي الحفر الغائر ثم تطعيمها بألياف نحاسية وبقطع صغيرة من المرجان، بينما غطيت فوهتي الفرن والأنبوب بصحيفة نحاسية رقيقة تثبت على السطح بمسامير نحاسية صغيرة.

6. خاتمة:

نرجو أن نكون قد وفقنا ولو بقسط قليل من المعطيات في إخراج مجموعات التحف –المحفوظة خاصة في مخازن المتاحف – إلى النور و الشروع في دراستها دراسة علمية ومقارنتها بنظيراتها في المتاحف الأوروبية وخاصة الفرنسية التي تحتوي على قسط كبير من موروثنا الثقافي المادي الذي ينتظر منا الكثير من البحث تمكنا من خلال هذا المقال الوصول إلى النقاط التالية:

– إن انتشار واستهلاك التبغ واستعمال الغلايين بإيالة الجزائر كان بداية من القرن 16م ليأتي بعدها عملية غرسه محليا وليصبح من أهم المحاصيل الزراعية نظرا لما يذره من مداخيل للدولة آنذاك.

– إن معظم الدراسات المتوفرة لدينا هي حول الغلايين المصنوعة من الطين وذلك لتوفرها بعدد كبير وهذا لا يعني عدم وجود غلايين من خشب ومعدن و الدراسات المنجزة حول معرفة النماذج وطرزها وأشكالها تكاد تكون منعدمة.

– أول ما استعمل الغليون كان لدى البحارة ثم الطبقة السفلى من المجتمع (العامة) ليستخدم بعدها من طرف الطبقة البرجوازية المكونة من الأثرياء.

– واكبت عملية تدخين الغلايين عدة عادات لم تكن موجودة من قبل كتقديم الغلايين للتدخين مع القهوة عند الضيافة.

– تنتمي هذه المجموعة من الغلايين إلى النوع الشرقي أو ما يعرف أيضا بالغلايين العثمانية لأنها تتكون من ثلاثة أجزاء منفصلة وهي رأس الغليون والقصبة والمبسم.

– تتميز هذه المجموعة من بصناعتها من الخشب وزخرفتها بعناصر هندسية.

1. المراجع البيبليوغرافية

1. 1 قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. 1. 1 قائمة المصادر:

– ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، ج 13، دار صادر، بيروت، ص. 147، 148.
– فانيامبادي، عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 2011.
– الفيروزابادي، مجد الدين محمد، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004.

1. 1. 2 قائمة المراجع:

– غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، 1700–1830، مقاربة اجتماعية– اقتصادية، منشورات ANEP ، الجزائر، 2007.

2. قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

2. 1 المصادر:

- Rozet, M., voyage dans la regence d'Alger, description du pays occupé par l'armée français en Afrique, atlas, Arthus Brtrand, libririe-éditeurs, Paris, 1833.
- Venture de Paradis, Alger au XVIII^{eme} siécle, édition Bouslama, Tunis, 2eme édition, S.D.,

2. 2 المراجع:

- Laurent Bavay, Fumer comme un turc, les pipes ottomanes de la TT19 à Cheikh abd el-Gourna.
- Alain Servantie, Notes sur les objets du tabac dans l'empire ottoman, 2016 .

3 .2 الأطروحات:

- Nolwenn Guedeau, Etude préliminaire des pipes ottomanes du Khabour-st, Krdistan irakien, l'exemple de Basstki et Muqable, mémoire de master2, département d'histoire de l'art et archéologie, université de Poitiers-UFR Scinces humaines et arts, 2018/2019.

4 .2 الدوريات:

- Chevalier, A., Note sur l'Erica arborea et sur l'emploi de ses souches dans la fabrication des pipes, in revue de botanique appliquée et agriculture coloniale,7e année , bulletin n°74, novembre 1927.

Ferland Catherine, « Mémoires tabagiques, l'usage du tabac, du XVe siécle à nos jours » in revue drogue et santé et société, volume 6, numéro1, 2007, pp17-48. https://id.erudit.org/iderudit/016942 ar

- François Véronique, Objets du quotidien à Damas à l'époque ottomane, société et culture matérielle, Bulletin d'études Orientales, tomeLXI, 2012, pp.474-506. http://beo.revue.org/1038

- Khalil, Walid Ali and Gusach, Irina Rudolfovna "T he collection of ottoman tobacco pipes from azov museum-reserve in russia", in, Journal of the General Union of Arab Archaeologists : Vol. 3: Iss. 1, Article 8.2018. https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jguaa/vol3/iss1/8

- Pradines, S., « Note préliminaire sur un atelier de pipes ottomanes à l'est du Caire », in cahiers de la céramique Egyptienne 7, IFAO, Le Caire, 2004, p p.281-291. https://www.academia.edu/2070830/

– مواقع الانترنت :

- https://www.pipe.fr/fr/blog/etapes-fabrication-pipe-bruyere-n73